رسالة الخلود أو جاويد نامه إحدى إبداعات إقبال

د/ فيض الله

إنّ منظومة «جاويد نامه» من أروع أعمال إقبال بالفارسيّة، يمزج فيها التّصوّف بالفلسفة والتّاريخ. وفيها يقوم جلال الدين الرّومي بدور المرشد والدّليل، ويقود إقبالا ممثلا في «زنده رود: النّهر الحيّ)، ويعرج به في عدّة سماوات، ثم يشرف بالقرب الإلهي ويصبح على صلة بالأنوار الإلهيّة.

وفي خلال زياراته إلى فلك القمر، ووادي الطّواسين وسماوات الأفلاك: عطارد والزّهرة والمريخ والمشتري وزحل، وتلك الأماكن فيما وراء الأفلاك، يلتقي بعدد من الشّخصيّات المرموقة من الفلاسفة والصّوفيّة والشّعراء والملوك والسّاسة القدامى والمعاصرين، ويتحدّث إليهم في العديد من المشاكل المعقّدة التي يواجهها العالم. ويتّخذ من ذلك سبيلا لتقديم التّوجيهات والإرشادات التي تحلّ هذه المشاكل أو تعين على حلّها. وفي نهاية المثنوي يخاطب ابنه جاويد رمزًا للشّباب عامّة، ويقدّم من النّصح إلى «الجيل الجديد» ما يناسب تطلّعاته وحاجاته ودوافعه.[1]

التّعريف برسالة الخلود

يُعتبر هذا الدّيوان التّحفة الأدبيّة لمحمّد إقبال، وهو عبارة عن شعرٍ «مثنوي» للفلسفة الدّينيّة، ويحتوي على نحو ألفي مقطع شعريّ مزدوج، طبع عام ١٩٣٢م، وأنّه يبرز قُوى الشّاعر الفكريّة وذراها الرّفيعة، وفيه تورية إلى جاويد ابن الشّاعر، ويشتمل هذا الدّيوان على ثمانية أقسام، وفيها يحكي الشّاعر قصّة سفر في الأفلاك كقصّة دانتي الشّاعر الإيطالي، تبدأ القصّة بمقدمة فيها مناجاة وفصول أخرى، إلى أن تظهر روح جلال الدّين الرّوميّ، فيشرح أسرار المعراج، وهو دليل الشّاعر في هذه الرّحلة، ثم يأتي «زورابه» وهو روح الزّمان والمكان، فيحمل الشّاعر ودليله جلال الدّين الرّوميّ إلى العالم العلويّ.

وقد نظم إقبال هذه المنظومة الشّعريّة الرّائعة في ألف وتسعمائة وتسعة وخمسين بيتًا من الشّعر، وتعدّ من أروع أعماله، بل وتعدّ كوميديا إلهيّة شرقيّة، حيث استطاع إقبال من خلالها أن يعبّر عن آرائه المختلفة المتعلّقة بالمجتمع الإسلاميّ الذي يعيش فيه.

وهذه المنظومة عبارة عن عمل متكامل مستقلّ يتناول قصّة معراج روحيّ عبر الأفلاك يتناول من خلاله الشّاعر ماهيّة حقيقة الخلود للنّفس البشريّة بإبداع رائع أكسبها الخلود مثل اسمها.

وقد حظيت هذه المنظومة منذ أن نُشرت بالفارسيّة عام ١٩٣٢م بمكانة عاليّة على مستوى الشّرق والغرب.

وقد تُرجم هذا المثنوي من الفارسيّة إلى الإيطاليّة اليساندرو باوزاني (Alessandro Bausani) تحت عنوان Poema Celeste أي «الشّعر الخالد» ونشر في روما في ١٩٥٢م، وفي باري في ١٩٦٥م. حيث ضمّت الطّبعة الثّانية فضلا عن «جاويد نامه» منتخبات وفيرة من منظومات «بيام مشرق»، «ضرب كليم»، «أرمغان حجاز»، «بانك درا»، و«زبور عجم».[٢]

وترجمته انا مارية شيمل (Annemarie Schimmel) إلى الألمانيّة والتّركيّة، ونُشرت التّرجمة الألمانيّة في مينشين (Miinchen) بعنوان Das Buch der Ewigket في ١٩٥٧م. ونُشرت التّرجمة التّركية في آنقرة في 1958م، بعنوان Cavid Name وبالاشتراك مع الدّكتور محمّد مقيم ترجمته الدّكتورة ايفامايروفيتش تحت عنوان Eternite, Le Livre de I. ونُشر في باريس، عام ١٩٦٢م. وإلى الإنجليزية ترجمه نظمًا الشّيخ محمود أحمد، ونُشر بعنوان Pilgrimage of Eternityبلاهور في ١٩٦١م ثم في ١٩٦٤م، كما ترجمه آرثر آربري بعنوان JavidNama، ونشر في لندن في ١٩٦٦م.[٣]

ولم تقتصر التّرجمات على اللّغات الأوروبيّة، فقد ترجم هذا المثنويّ إلى السّنديّة لطف الله بدوي، ونُشر في كراتشي، عام ١٩٥٩م. وترجمه إلى الأردو نظمًا إنعام الله خان ناصر وأصغر حسين خان نظير، ونُشر في لاهور ١٩٦٦م. وترجمه مرّة أخرى إلى الأردو نظمًا أيضًا، رفيق خاور، لاهور، ١٩٧٦م. وإلى البشتو ترجمه أمير حمزة شنواري، ونشر مع مقدمة بقلم مولانا عبد القادر، كراتشي، ١٩٦٧م. وترجمه إلى البنجابيّة لأوّل مرّة الدّكتور مهر عبد الحق، ملتان، ١٩٧٣م، ثم ترجمه مرّة أخرى بروفيسر شريف كنجاهي، لاهور، ١٩٧٧م.

وقد ترجم الكتاب إلى العربيّة الزّميل الدّكتور محمّد السّعيد جمال الدّين ضمن رسالته التي نال بها درجة الدّكتوراه من قسم اللّغات الشّرقيّة في كلّيّة الآداب في جامعة عين شمس، في سبتمبر ١٩٧٢م، ونشر الترجمة في كتاب بعنوان «رسالة الخلود أو جاويد نامه» في القاهرة في ١٩٧٤م.

كذلك ترجمه إلى العربيّة شعرًا الأستاذ الدّكتور حسين مجيب المصريّ بعنوان «في السّماء»، ونشر في القاهرة، ١٩٧٣م.

وقد اهتمّ بشير أحمد دار بالقسم الأخير من «جاويد نامه» المعنون «خطاب به جاويد» فترجمه إلى الإنجليزيّة، وطبعه في كراتشي في ١٩٧١م مع حواشي المترجم بعنوان[٤]: *Address to Javid (A word to the new generation)*.

فحوى رسالة الخلود

أمّا بالنّسبة لملخّص الرّسالة أو فحواها فيقول الدّكتور حسين مجيب المصريّ في هذا الصّدد:

«وهو الجاعل من جلال الدّين الرّوميّ عظيم الصّوفيّة شيخًا له مرشدًا، وتأثّره به ونقله عنه ممّا يتّضح في كثير من المواضع. ويحمل كتاب «في السّماء» من وجوه الشّبه بينه وبين كلّ ما أسلفنا التّعريف به في صدر الكلام، ما ينهض دليلا على أنّ إقبالا ظاهر التّأثّر بمن سبقوه إلى هذا اللّون من التّأليف، مشابهم في جزئيّات وكلّيّات، وإن خالفهم في كثير من الأصول والفروع وواضح السّمات. فإذا صعد إلى القمر صادف من يعبر برموز عدّة أديان ولكن عن مضامين أفكار إقبال. وفي عطارد يلتقي بجمال الدّين الأفغانيّ المصلح الإسلاميّ الكبير، والصّدر الأعظم سعيد حليم باشا[٥] صاحب الرّأي السّديد، ليجري على لسانها كلامًا هو التّعبير عن مبادئه السّياسيّة التي ترسو على أساس ممّا جاء في القرآن. ويجمعه كوكب الزّهرة بآلهة الأقدمين، ثم يفضي به الكلام إلى ذكر بحرين سخرهما الله لإهلاك عاهلين من الظّالمين الباغين هما فرعون[٦] ولورد كتشنر[٧]، وقد قرن الماضي بالحاضر، وتحدّث عن ثورة المهديّ في السّودان ليبديه واعظًا حكيمًا داعيًا إلى الوحدة الإسلاميّة سدًّا يدفع عن المسلمين جور المستعمرين. وفي المريخ مساواة وحرّيّة، وساكنوه لا يتكالبون على التّملّك، وهم قوم دائبون في عملهم، مداومون في اجتهادهم، وفي قدرتهم ومكنتهم أن يغيّروا ما شاءوا من مصيرهم. أمّا الفتاة الأوروبيّة المذكورة في هذا الفصل من الكتاب، فقد أراد الشّاعر بها أن يرمز إلى حضارة الغرب الغارقة في المادية الخاوية من الرّوحانيّة. وهو مذكرنا بأبي العلاء المعرّيّ في رسالة الغفران حين يلتقي في المشتري بأرواح بعض الشّعراء من مختلف الأجناس، وكلّ منهم يشرح سرّ الوجود والألوهيّة والنّبوّة بكيفيّته الخاصّة. وفي زحل حيث يموج بحر الدّماء حديث يدور على بعض الخونة الذين قدموا الهند إلى المستعمرين البريطانيّين. أمّا ما وراء الأفلاك ففيه يبدو نيتشه[٨] الفيلسوف الألماني الذي خلب لبّه الجمال الإلهيّ، بيد أنّه لم يتجاوز بمعرفته الإنسان إلى الله، وما الإنسان إلا عبد لربّه. ثم تسمت روح إقبال نحو الجنّة، وقد سمى روحه باسم نهر زنده رود. وفي الجنّة تشاهد الشّعراء والملوك وقد تباينوا في جنسهم ودينهم.»[٩]

وأمّا بالنّسبة ذيل هذا الكتاب والذي هو موسوم باسم «إلى جاويد» فيقول

الدّكتور حسين مجيب المصريّ: «وللكتاب ذيل بعنوان «إلى جاويد» وجاويد اسم ابنه الذي نُسب إليه كتابه فسمّاه «جاويد نامه» بمعنى كتاب جاويد في الفارسية... وقد أراد إقبال أن يعظ ابنه ويسدي إليه النّصح على أنّه من أبناء الجيل الجديد، لا على أنّه ابنه ليس إلا.

ورغب إليه أوّل ما رغب أن يستوصي خيرًا بأمّه، وهذا صدى في نفسه لقوله تعالى: ﴿إِحۡسَٰنًا وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾،[10] وذكره للأمّ أخصّ ممّا لو كان للأدب، لأنّ الأمّ تقوم على تربية الجسم وتسوية النّفس في وقت معًا. ثم يوصيه بتقوى الله قائلا: «إنّ لا إله إلا الله في يده سيف حسام». وقد أراد الرّمز بذلك إلى أنّ الدّين الحنيف يحثّ على الجهاد والعمل، وينهى عن الخمول والكسل. وبادر إلى القول بضرورة أن تكون التّقوى من الرّوح في صميمها، ثم حتم أن يكون الجهاد والحجّ من مفروض الواجبات على المؤمن، وإلا فالصّلاة والصّيام جسد فارقته روحه. والتفت إلى آسيا وهي أرض الشّمس المشرقة، فأحزنه أن تنظر إلى غيرها وتحتجب عن ذاتها. وشاعرنا وهو من هو في إكرامه للذّات واهتمامه بها، لا يكتفي بمثل تلك الإيماءة إليها، بل يجب لولده أن يدور حول ذاته كالفرجار، لأنّه يعدّ منكر ذاته من الكافرين، وإن كان الكافر ينكر وجود الله عند أئمّة الدّين. وهو يربأ به أن يكون طائرًا من طيور العطّار الثّلاثين التي طارت إلى العنقاء لتنفى ذاتها فيها، وأراد به أن يجد متعة الحياة محلقًا كالصّقر الذي يبحث عن رزقه في الشّمس والبدر، وزجره عن أن يتلبّد بالعش، وينظر إلى ما في التّراب كالغراب.

وليس إقبال بناس شيخه جلال الدّين الرّوميّ في خواتيم الكلام، فتحدّث طويلا عن رقص مريديه رغبة منهم في إثارة نشوتهم الرّوحية به، وهو يتصدّى لتصويب مفهومه ويقول: إنهم توهّموه جسمانيًا، ولو خبروا حقيقته لما عرفوه إلا روحانيًّا. وهذا كلّه من نصائحه لولده بخاصّة والجيل الجديد بعامّة، أوضح من أن يدلّ عليه بوصف.»[11]

ويقول يوسف سليم جشتي: «إنّ الجزء الأخير لهذا الكتاب مشتمل على خلاصة كلام ورسالة إقبال. وكتب إقبال هذا الجزء لكي يستيقظ في شبّان الأمّة الإسلاميّة إحساس الطّلب.»[12]

لقد عالج إقبال فكرة المعراج في ديوانه «جاويدنامه» الذي يُعدّمن أروع دواوينه بالفارسيّة، مزج فيه التّصوّف بالفلسفة والتأريخ. يبدأه بالمناجاة للرّب، ونجده يشكو إلى الله حرمان الإنسان في هذه الدّنيا من الصّديق المماثل في الفكر والذّهن، ويتمنّى أن يرز ق بمثله.وفي منظومة «التّمهيد السّمائي» تعير السّماء الأرض وتعيبها بأنّها بدون النّور، فتكاد تذوب حياء، فتتوجّه إلى الله خجلة مطرقة رأسها شاكية بثّها وحزنها، فيأتي النّداء

من السّماء بأنّک لا تقدرین قیمتک، إنّک تحملین علی ظهرک النّور الحقیقیّ أي الإنسان، إنّه رأس مالک بل رأس مال کلّ العالم، ثم في منظومة «نغمةملایک» أي «أنشودة الملائکة» تکشف الملائکة عن هذا السّرّ بأنّ ذلک الیوم الذي تحسد فیه السّماء الأرض بسب برقي آدم لیس ببعید، وهذا هو سبب معراج الشّاعر إلی الأفلا ک العلیا.

إنّا لشّاعر في بحثه عن الخلوة یذهب إلی نهر والشّمس غاربة والنّهار مدبر، فیعجبه جمال الطّبیعة ورقّة الهواء وخریر الماء في هدوء الصّحراء، فیزید قلقًا علی الفراق عن خالقه، فیذرف دموعًا غزارًا، ویبدأ إنشاد القصیدة الغزلیّة الشّهیرة للشّاعر جلال الدّین الرّومیّ التي مطلعها:

بکشاے لب کہ قندِ فراوانم آرزوست
بنماے رخ کہ باغ وگلستانم آرزوست[۱۳]

«أیها المحبوب، تحدث إليّ، فإنّ سعادتي إنّما تکمن في حدیثك، وأن نظري إلی وجهك یفضل عندي النظر إلی الریاض الجمیلة الغناء.»[۱۴]

فتظهر روح «الرّومي» من خلف تلّ، وتتحدّث إلیه طویلا، وتُلقي الضّوء علی الموجود وغیر الموجود، والمحمود وغیر المحمود، والعقل والعشق، والجسد والرّوح، والزّمان والمکان، وعلی فلسفة المعراج، کما تُلقّبه «زندهرود»[۱۵] فیحنّ قلب الشّاعر إلی سیر الأفلاک ویبکي لفر اق ربّه، ولا یستطیع الصّبر.

بینما هو في هذه الحال إذ یظهر «زروان»[۱۶] الذي هو روح الزّمان والمکان، وله وجهان: أحدهما مظلم والثّاني مضيء، ویقول له: إن قرأت «لي مع الله»[۱۷] من أعماق روحک تحرّرت منّي، أي من قیود الزّمان والمکان. ثم بغتة یغیب عن الشّاعر هذا العالم المادّيّ، ویتمثّل أمامه عالم جدید یرحّب به فیه الملائکة، فیعرج الشّاعر في صحبة مرشده الرّومیّ إلی العالم العلويّ.

وفي القسم الأوّل یزور الشّاعر «القمر» وهنا قدّمه الرّومیّ إلی الحکیم الهندیّ المعروف باسم «جهان دوست»[۱۸] أي «محبّ الدّنیا» یجلس تحت شجرة یأکل ویشرب في تأمّل وتفکّر علی طریقة «الیوجا» الهندیّة، وحدیثه مع الرّومي واضح، وهو یبیّن للإنسان أنّ الطّریق إلی التّقدّم یمکن خلال المزج بین الثّقافة الشّرقیّة والغربیّة، فالشّرق قد رکّز علی الرّوحانیات مهملا المادّیات، بینما الغرب قد رکّز علی المادّیات مهملا الرّوحانیات.

ویوافق الحکیم الهندیّ علی ملاحظات الرّومیّ، لکنّه ینقل إلی الشّاعر أخبارًا

مشجعة، وهي أنّ الشّرق النّائم الكسلان هو مع هذا كلّه في طريقة إلى اليقظة من النّوم والانشغال.[١٩]

فيقدّم «جهان دوست» نكاته التّسعة الزّاخرة بالحِكَم، ثم ينظر الشّاعر «الطّواسين الأربعة»[٢٠] أي طس لغوتم[٢١] وطس لزرتشت، وطس للمسيح، وطس لمحمّد عليهما السّلام، ويلتقي هناك «بزن رقاصة» أي «المرأة الرّاقصة»[٢٢] وأهرمن[٢٣] وطالسطائيّ[٢٤] وأبي جهل، وإنّ في نياحة أبي جهل الذي كان من أشدّ النّاس حماسة في الدّفاع عن الجاهليّة لعبرة. إنّه لمّا رأى أنّ الجاهليّة تطرد من عاصمتها ومهدها طردًا شنيعًا هاجت في نفسه نخوة الجاهليّة، وحنقت روحه، وشوهد متعلّقًا بأستار الكعبة يستغيث آلهته على محمّدﷺ وينوح قائلا:

باز گو اے سنگ اسود باز گوے
آنچہ دیدم از محمّد باز گوے
اے ہبل، اے بندہ را پوزش پذیر
خانہ خود را ز بے کیشان بگیر
گلۂ شاں را بگرگاں کن سبیل
تلخ کن خرماے شاں را بر نخیل!
صرصرے دہ با ہواے بادیہ
أَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ
اے منات اے لات ازین منزل مرو
گرز منزل می روی از دل مرو
اے ترا اندر دو چشم ما وثاق
مِلتے إن كنت إزمعت الفراق[٢٥]

«أعد علينا أيها الحجر الأسود، أعد علينا حديث ما لاقيناه على يد محمّد، يا هبل، يا من يقبل الاعتذار من عباده، اسلب بيتك من أيدي هؤلاء الزّنادقة، سق غنمهم إلى الذّئاب واجعل تمرهم مرًّا على نخلهم. أرسل عليهم صرصرًا من ريح القيافي، تجعلهم أعجاز نخل خاوية، يا مناة، ويا لات، لا ترحلا عن منازلنا، وإذا كان لا بدّ من الرّحيل فلا ترحلا عن قبولنا، وما دام لك «يالات» في عيني الوثاق فأمهلي، وإن كنت أزمعت الفراق».[٢٦]

وفي القسم الثّاني ينتقل الشّاعر بعد ذلك إلى «عطارد» حيث يقابل جمال الدّين

الأفغانيّ، وسعيد حليم باشا، وهنا يقدّم الرّومي الشّاعر على أنّه «زنده رود» أو «النّهر الحيّ» وهو الاسم الذي يستخدمه الشّاعر من هنا فصاعدًا خلال الكتاب. وفي إجاباته عن أسئلة الأفغانيّ، فإنّ الشّاعر يصف الأخطاء التي ترتكبها أمم الشّرق خاصّة التّرك، والفرس، والعرب، في تغريبهم لأنفسهم، ويقارن سعيد حليم باشا بين الشّرق والغرب، ويبيّن أنّ إنقاذ وخلاص الجنس البشريّ يكمن في المزج والتّأليف بين كلتا الثّقافتين، أو كما يعبّر الشّاعر في تزاوج العقل بالعشق.

ويحكي سعيد حليم باشا بعد ذلك للنّهر الحيّ «زنده رود» أنّ دين الله قد أصابه الفساد من جرّاء تعصب «الملاّ» فقد اقتصرت وظيفته على خلْق المتاعب.[۲۷]

فيدور الحوار بينهم حول الدّين والوطن والاشتراكيّة والملوكيّة، فكلمات الشّيخ الأفغانيّ بهذا الصّدد زاخرة بلآلي الحكمة، وتستحقّ أن تُكتب بماء الذّهب، فممّا قاله:

غریباں گم کردہ اند افلاک را
در شکم جویند جانِ پاک را!
رنگ وبو از تن نگیرد جان پاک
جز بہ تن کارے ندارد اشتراک
دینِ آں پیغمبرِ حق ناشناش
بر مساواتِ شکم دارد اساس
تا اخوت را مقام اندر دل است
بیخِ او در دل نہ در آب وگل است![۲۸]

«إنّ الغربيّين فقدوا القيم السّماويّة، وذهبوا يبحثون عن الرّوح في المعدة، إنّ الرّوح ليست قوتها وحياتها من الجسم، ولكن الشّيوعيّة لا صلة لها إلا بالجسم المادّيّ. وديانة هذا الرّسول الذي فاته الحقّ[۲۹] مؤسسة على مساواة البطون. إنّ الأخوة الإنسانيّة لاتقوم على وحدة الأجسام والبطون، إنّما تقوم على محبّة القلوب وألفة النّفوس».

وقال:

ہر دو را جاں ناصبور وناشکیب
ہر دو یزداں ناشناس، آدم فریب!
زندگی ایں را خروج آں را خراج
درمیان ایں دو سنگ آدم زجاج!

ایں بہ علم ودین وفن آرد شکست
آں برد جان رازتن، نان رازدست
غرق دیدم ہر دو را در آب وگل
ہر دو را تن روشن وتاریک دل![30]

«إنّ الملوكيّة والشّيوعيّة تشتركان في القلق والسآمة، والجهل بالله والخداع للإنسانيّة، الحياة عند الشّيوعيّة «خروج» وعند الملوكيّة «خراج»، والإنسان البائس بين هذين الحجرين قارورة زجاج، إنّ الشّيوعيّة تقضي على العلم والدّين والفنّ، والملوكيّة تنزع الرّوح من الأجسام وتسلب القوت من أيدي الفقراء، لقد رأيتهما غارقتين في المادّة، جسمهما مضيء ناضر، وقلبها مظلم فاجر.»

كما أنّه يحكي انتقاد الأمير سعيد باشا للثّورة التي قام بها «أتاتورك»[31] في تركيا ويذكر تفاهتها، كما يذكر أنّ زعيمها وقائدها محروم من كلّ إبداع وابتكار، ومن كلّ إصالة في التّصميم والتّخليط، وأنّه ليس إلا مقلّدًا أعمى لأوربا، إنّه يقول: «إنّ مصطفى كمال تغني بالتّجديد في حياة تركيا، ودعا إلى محو كلّ أثر قديم وتراث مأثور، ولكنّه جهل أنّ الكعبة لا تجدّد ولا تعود إلى الحياة والنّشاط إذا جلبت لها من أوربا أصنام جديدة، إنّ زعيم تركيا لا يملك اليوم أغنية جديدة في قيثارته، إنّما هي كلّها أغان مردّدة معادة تتغنّى بها أوروبا من زمان، إنّ الجديد عنده هو القديم الأوربيّ الذي أكل عليه الدّهر وشرب، وليس في صدره نفس جديد، وليس في ضميره عالم حديث، فاضطرّ إلى أن يتجاوب مع العالم الموجود المعاصر، إنّه لم يستطع أن يقاوم وهج العالم الحديث فذاب مثل الشّمعة وفقد شخصيّته.»[32]

وعلى فلك الزّهرة يمرّ الشّاعر بواد يرى به الآلهة القديمة التي عبدتها أمم الجاهليّة، ونحتت أصنامها وتماثيلها، وبنت عليها هياكل ومعابد، وعكف عليها السّدنة والكهان، كبعل، واللات، ومناة، كلّها وجلة مشفقة من الوحي المحمّديّ — على صاحبه ألف تحية وتسليم— الذي أحدث ثورة كبيرة عليها، ونقّي الدّنيا منها، وخلق عالما جديدًا، قائمًا على نبذ الأصنام، يقوم أساسه على عقيدة التّوحيد، إلا أنّها ترى في هذا العصر الرّاهن الأفرنجيّ أملا لعودة الحياة إليها وبعثا من مرقدها. ثم يطّلع الشّاعر على نهر من أنهار فلك الزّهرة فيجد في قعره أرواح فرعون وكتشنر. ثم تظهر روح المهدي السّوداني[33] محرضّة العرب على العلم مؤدّية إليهم رسالة اليقظة قائلة: «يا روح العرب، استيقظي من نومك العميق، وأوجدي عصورًا جديدة كما فعل السّلف. يا فؤاد، ويا فيصل، ويا ابن سعود، إلى متى الانطواء على النّفس كالدّخان، أحرقوا قلوبكم بالحرقة الإسلاميّة الماضيّة وأحيوا للعالم الأيّام السّالفة، يا تراب بطحاء «أرض مكة» أنجب خالدا «بن

الوليد» جديدًا وأسمعنا أنشودة التّوحيد مرّة أخرى. يا أرض العرب، أنبت الله النّخل في صحاريك نباتًا حسنًا، أليس من الممكن ظهور الفاروق «عمر بن الخطاب» من ترابك مرّة آخرى؟»[٣٤]

وفي فلك المريخ يزور إقبال الشّاعر الحكيم المريخيّ[٣٥] ويسير معه في بلد مثاليّ يسمّى «مرغدين» ويتناقش معه حول مسألة القدر، فأقواله المزدحمة بالمعاني القيّمة وآراؤه الحصيفة تدلّ على سمو تفكيره وعصارة تجاربه، منها:

رمز باریکش بحرفے مضمر است
تو اگر دیگر شوی، او دیگر است![٣٦]

«إنّ كنهه الدّقيق كامن في قول وجيز وهو أنّک إن تغيّر ما بک، تغيّر الحظّ المكتوب حسب تغيّرک.»

وفي ميدان واسع بالمريخ يجد الشّاعر نبية مريخ، تلقي خطابًا تحثّ فيه النّسوة على الثّورة ضدّ الرّجال، وتحرضّهن على نيل الحرّيّة من مخالبهم، وخطابها ممتع ومرير يمثّل ضربة قاسية على الحضارة الغربيّة والمدنيّة الحديثة التي جنت على الإنسانيّة جناية عظيمة، من حيث أنّها جرفت جميع القيّم الرّوحيّة والخلقيّة. وأسهل طريقة للحصول على هذه الغاية– حسب رأيها– هو دسّ الأفكار الغربيّة في مجتمعهم، كما قال إقبال في موضع آخر:

وہ فاقہ کش کہ موت سے ڈرتا نہیں ذرا
روح محمد اس کے بدن سے نکال دو
فکر عرب کو دے کے فرنگی تخیلات
اسلام کو حجاز ویمن سے نکال دو[٣٧]

«ذلک الفقير المعدم الجائع «أي المسلم الخالص» الذي لا يهاب الموت، يجب أن تسلوا من جسده روح محمّد–ﷺ– وعليكم أن تفسدوا فكر العرب بتغريس الأفكار الغربيّة فيه، وحينئذ تتمكّنون من طرد الإسلام من الحجاز واليمن بكلّ سهولة.»

وعلى فلک المشتريّ يلتقي الشّاعر بأرواح الحلاّج وغالب[٣٨] والمبلّغة الإيرانيّة والشّاعرة الشّهيرة قرّة العين طاهرة ممّن فضّلوا المكوث في «گردش جاودان» أي «الجولان السّرمديّ» على الجنّة ونعيمها، ويناقش معهم فلسفة الحياة والموت، بينما تستمرّ هذه المحادثة يظهر الشّيطان على مسرح الأحداث، ووصف الشّيطان هنا رائع، ويحتاج إلى دراسة مفصّلة. يتمتّع الشّاعر بكلام كلّ واحد منهم ويتلذّذ به، ثم يسأل

صاحبنا إقبال الشّاعر «غالب» عن شعره:

قمری کف خاکستر وبلبل قفس رنگ
اے ناله نشاں جگر سوخته چیست[۳۹]

«ليست الحمامة إلا قبضة من الرماد، وليس البلبل إلا قفسا من اللون، فهل هناک شيء سوى البكاء والتعويل، يدلّ على حرقة الكبد.»

كما يسأله إقبال عن بيت آخر من شعره قاله في مدح النّبيّ ــ ﷺ:

ہر کجا ہنگامہ عالم بود
رحمۃ للعالمینیم بود![۴۰]

«فأينما جرت غوغاء عالم فلا بدّ من أن يوجد معها من يكون رحمة للعالمين.»

ولكن المعنى لا يتّضح بشرح الشّاعر فيوضّحه الحلاّج توضيحًا مليئًا بالمعاني والمعارف، ثم يظهر إبليس ويشتكي.

وعلى فلک «الرّحل» يعرض على الشّاعر بحر الدّم، وفيه سفينة عليها غادران معروفان أي «جعفر»[۴۱] من بنغال و«صادق»[۴۲] من دكن اللّذان لم تقبلهما الجحيم، ولا يأتيهما الموت، وهما في عذاب شديد. ثم تظهر روح الهند في صورة حوراء وتشتكي.

وفي القسم السّابع يصل الشّاعر إلى «ما وراء الأفلاك»، وأوّل من يلتقي، يلتقي الشّاعر بروح نيتشه الفيلسوف الألمانيّ الشّهير الذي لقّبه إقبال بـ «حلاّجعصره» والذي ظلّ طوال حياته يحاول البحث عن الله، لكنّه فشل، لأنّه اعتمد أساسًا على العقل الذي لا يؤدّي إلى شيء. وبعد نيتشه يطير الشّاعر إلى قصر عبد الصّمد حاكم بنجاب، ثم يقابل أخيرًا الشّاعر الشّيخ سيّد علي همداني[۴۳]، والشّاعر غني[۴۴] من كشمير، ويشير بعد ذلك إلى بيع البريطانيّين. ويقابل الشّاعر كذلك نادر شاه، وأحمد شاه، والشّاعر الهنديّ بهرتري هري[۴۵]، وبينما هو يستعدّ لمغادرة إقليم ما وراء الأفلاك يسمع الصّوت الإلهيّ المقدّس يوضّح له أنّ السّرّ الحقيقيّ للتّقدّم والتّطوّر يكمن في نموّ، وتطوّر الفرديّات، والمجتمعات، وهنا تنتهي الرّحلة.[۴۶]

وفي النّهاية يدخل الشّاعر جنّة الفردوس فيمرّ من أمام قصر شامخ للسيّدة شرف النّساء[۴۷] ثم يلتقي بالسّيّد علي الهمداني وملا طاهر غني الكشميريّ فيتحاورون حول كشمير وماضيها وحالها ومستقبلها.

ثم يلتقي بالشّاعر الهنديّ الشّهير «برتري هري» الذي بشعره يجوش خاطر إقبال

وتثور عواطفه، ويشعر بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسه، وبحركة للحماسة الإسلاميّة فيعروقه.

ثم يرتفع في صحبة الرّوميّ– مرشده– إلى العلى ويصل إلى مجلس الملوك كنادر شاه[٤٨]وأحمد شاه[٤٩] والسّلطان تيبو[٥٠] فيقدّم السّلطان تيبوآراءه الحصيفة وأفكاره القيّمة حول الحياة والموت.

وحور الجنّة يطلبن من الشّاعر إنشاد شعره، ثم تتركه روح الرّوميّ ويصل إقبال إلى جوار الجمال الإلهيّ، فيتكلّم بما شاء الله أن يتكلّم به، ثم يتجلّى ربّه فجأة بجلاله، فيعمّ النّور الأرض والسّماء فلا يستطيع الشّاعر التّكلّم مزيدًا ويخرّ صعقًا، وهنا تنتهي رحلته الخياليّة، فيعود إقبال إلى دنياه، ويقدّم للجيل الجديد الفلسفة التي جاء بها من وراء الأفلاک في صورة خطاب يخاطب به نجله «جاويد»، ويجعله رمزًا للجيل النّاشئ.

وفي القسم الثّامن الذي هو الأخير يخاطب فيه الشّاعر الشّباب عن طريق ابنه جاويد فينصحهم بتجنب الرّفقة الشّريرة، وأن ينمّوا شخصياتهم وذاتياتهم عن طريق الجهاد والكفاح المستمرّ.[٥١]

سبب نظم هذه المنظومة

وكان الدّافع للشّاعر محمّد إقبال إلى نظم منظومته جاويد نامه هو أنّه طاف بلدان العالم الإسلاميّ، ورآه قد سقط في براثن الاستعمار والشّيوعيّة، وفتنه بريق الغرب، فأصبح أسير المادّة ونسي خالقه، ممّا أدّى إلى فقدان التّآخي والتّضامن بين أفراد المجتمع الإسلاميّ، فسيطر عليه الشّعور بالغربة وسط مجتمعه والأسر في هذا الزّمان، فتاقت نفسه إلى الدّعوة من أجل إنقاذ الإسلام والمسلمين في هذا العالم الصّاخب.

لذا قام بنظم منظومته الرّائعة «جاويد نامه» أي «رسالة الخلود» وذلك من خلال قصّة معراج للرّوح الإنسانيّة إلى الله تعالى بعد أن اقتنع بأنّ على المؤمن أن يرضى بالذّات الإلهيّة دون هذا العالم، وأن يتّخذ الرّسول محمّدًا ﷺ قدوة، الذي غادر الكون وما وراؤه متّجهًا إلى الله عزّ وجلّ، وذلك ليتلقّى من الحقّ تعالى، فيعود إلى الأرض وينظم حديثًا إلى شباب الأمّة الإسلاميّة ممّثلا في ابنه جاويد– أي الخالد– حيث أنّ الشّباب هو الذي يعقد عليه الأمل والمستقبل من أجل تصحيح مسار الأمّة الإسلاميّة.

وكان ذلك نابعًا من إيمان إقبال العميق بأنّ الرّوح المسلمة وأمّة الإسلام لا بدّ لهما من الخلود رغم كلّ فساد العالم.

من هنا كان سبب تسمية الشّاعر إقبال لمنظومته باسم رسالة الخلود.

ويقول الدّكتور حسين مجيب المصريّ عمّا تنطوي عليه هذه المنظومة:

«ينطوي هذا الكتاب على وصف غيبه في الخيال إلى آفاق عالم آخر لعظيم من أهل الشّعر والفكر. وقد أراد بصنيعه هذا أن يسلك سبيلا قريبًا إلى بعيد من غايته، وهي التّعبير بالتّخييل والتّمثيل عن الشّعور والتّفكير، كما يجري على مألوف شعراء الفرس والتّرك والهند في فرط الولوع بالكلام يتجاذبه المحسوس والمعقول والحقيقة والمجاز، لأنّ كلامًا يتّسم بتلك الصّفة يفسّر الواقع بالخيال ويكشف الأغوار والأسرار، ويهيّء الفكر لقطع الشّكّ باليقين.»[٥٢]

ولم يكن هذا الكتاب أي منظومة «جاويد نامه» بدعًا من الكتب التي تتحدّث عن الرّحلة السّماويّة لأصحابها بل كانت توجد مثله كتب تتحدّث عن نفس الموضوع الذي تحدّث به هذا الكتاب. ويقول الدّكتور حسين مجيب المصريّ في هذا الصّدد:

«نقول: إنّ ذلك الكتاب الذي بين يدينا لم يخرجه صاحبه على غير مثال، بل إنّ له أشباهًا عدّة، وكافينا هنا أن نشير إلى بعض منها في الشّرق، على ما بينها من تخالف ومماثلة واتّفاق.»[٥٣]

ثم يذكر الدّكتور المصريّ بعض الكتب التي تتحدّث عن نفس الموضوع التي تتحدّث به رسالة الخلود، والتي سبقت هذه الرّسالة، وبسط القول فيها إلى حدّ ما. فذكر منها كتابًا يُسمّى «أرداويراف نامه»، والذي هو مجهول المؤلّف، ورسالة الطّير للغزالي، ومنطق الطّير لفريد الدّين العطّار، ورسالة الغفران لأبي العلا المعرّيّ.[٥٤]

وحسب رأي الدّكتور حسين مجيب المصريّ اتّبع إقبال في هذا الكتاب خطوات شعراء التّصوّف، حيث يقول:

«وإقبال في كتابه هذا الذي بين يدينا، يتلو تلو شعراء التّصوّف في استخدام ألفاظ خاصّة بهم لها معنيان: قريب غير مقصود وبعيد هو المقصود. كما يستنهج سبيلهم في شدّة تأثّرهم بالقرآن وأخذهم عنه، فإنّ الكثير من مصطلحاتهم مستعار من القرآن، وهم يدركون من باطنه ما لا يتأتّى إدراكه لغيرهم من ظاهره.

ويبدو الكتاب عروجًا صوفيًا، والله في نهايته جمال خالد، وعند الصّوفيّة أنّ الإنسان يشاهد الله في جماله المتجلّى.»[٥٥]

هل فكرة جاويدنامه مأخوذة من الكوميدية الإلهيّة لدانتي؟

يرى أهل شبه القارّة الهنديّة والباكستانيّة الذين يرغبون في الشّعر الأردويّ والفارسيّ وكلام إقبال خاصّة بأنّ إقبالا استعار تصوّر رسالة الخلود «أو منظومة جاويد نامة» من الكوميديّة الإلهيّة لدانتي. كتب إقبال رسالة إلى «خواجة ايف ايم شجاع» في بداية عام ١٩٣١م، عندما كانت رسالة الخلود في مراحل التّكميل، توجد فيها إشارة خفيفة إلى التّشابه بين رسالة الخلود والكوميديّة الإلهيّة. وفي هذه الرّسالة يكتب إقبال

مانحًا رسالة الخلود والكوميديّة الإلهيّة درجة التّعادل:

«المنظومة الأخيرة «جاويد نامه» التي يكون لها ألفا بيت، لم تنته لحدّ الآن وربّما ينتهي في شهر مارس. هذه المنظومة نوع من الكوميديّة الإلهيّة، وكُتبت على نمط مثنوي مولانا الرّوم. ويكون تمهيدها شائقًا جدًّا، ويكون فيه على الأغلب للهند وإيران بل لجميع العالم الأحاديث الجديدة. ويأتي فيها من الإيرانيّين ذكر منصور الحلاج، قرّة العين[٥٦]، ناصر خسرو العلويّ[٥٧]. وتكون فيها رسالة جمال الدّين الأفغاني[٥٨] على اسم المملكة الرّوسيّة.[٥٩]

وفي هذا الصدد يكتب إقبال معرّفًا برسالة الخلود: «تصنيفي الجديد: رسالة الخلود... في الحقيقة كوميدية إلهيّة لآسياء كما تصنيف الدّانتي كوميدية إلهيّة لأوروبا. ومنهجها هكذا: إنّ الشّاعر يلتقي بأرواح مختلف المشاهير ويتحدّث معها خلال قيامه بسياحة الكواكب المختلفة، ثمّ يذهب إلى الجنّة وفي نهاية المطاف يحضر أمام الله سبحانه تعالى. وفي هذا التّصنيف، تذكر جميع المسائل الجماعيّة، والاقتصاديّة، والسّياسيّة، والدّينيّة، والأخلاقيّة، والإصلاحيّة.»[٦٠]

هذه الرّسائل لا تدلّ على أنّ إقبالا أراد بكتابة رسالة الخلود بعد أن رأى الكوميديّة الإلهيّة. وفي الواقع كان في قلب إقبال منذ فترة طويلة أن يكتب عن أسرار وحقائق المعراج النّبويّ. وكان من الممكن أنّ رسالة الخلود لا تتمثّل بمنظومة خياليّة ولكن في تلك الأيام نفسها جاء مقال «تي ايس ايليت»: «مقال عن الدّانتي»(*Essay on Dante*) إلى منصّة الشّهود، الذي تسبّب لالتفات الأدباء والنّقّاد إلى ما كتبه «كالرج» و«نارتن» عن الدّانتي، ورفعت شهرة الكوميديّة الإلهيّة إلى الأوساط الأدبيّة من جديد. ومن ثم ما كان ممكنًا بأنّ هذه التّحريرات لم تلتفت إقبالا إليها وبخاصّة عندما كان يفكّر في الكتابة عن المعراج النّبويّ. لذا حسب قول «جكن ناته آزاد»: «لو أخذ إقبال فكرة رسالة الخلود من الكوميديّة الإلهيّة لما افتضحت عظمة إقبال الشّعريّة والفكريّة لأنّ رسالة الخلود ليست بنقل عن الكوميديّة الإلهيّة بل عمل عبقريّ حقيقيّ الذي تبيّنت فيه علميّة إقبال ومشاهداته، وخبراته، وأحاسيسه بصورة فنّيّة عجيبة. وبنية المنظومة نفسها دليل على عظمة إقبال.»[٦١]

والدّكتور سيد عبد الله يقول بأنّ رسالة الخلود تصنيف متكامل الأبعاد مثل الكوميديّة الإلهيّة.[٦٢]

ويقول شفيع بلوش بعد أن عرض مقارنة مفصّلة بين رسالة الخلود والكوميديّة الإلهيّة: «إنّ رسالة الخلود ليست بنقل عن الكوميديّة الإلهيّة ولا محاولة تقليديّة أو صدى لنوع من التّصانيف مثلها. ولو توجد هناك التّواردات والتّشابهات في هذين الكتابين ولكن أهداف ومقاصدهما مختلفة.»[٦٣]

وفي نهاية مقاله يقول محمّد شفيع بلوش: «لو يقرّ النّقّاد الغربيّون للأدب بسعة ما تحتوي عليه الكوميديّة الإلهيّة من الأفكار ويعطونها درجة فنّ في عالم الشّعر، فشأن رسالة الخلود ليست بأقلّ منها في أيّ ناحية من الأدب والفكر والخيال.»[٦٤]

الحواشي والهوامش

[١] معوض، أحمد (الدّكتور)، العلامة محمّد إقبال، حياته وآثاره، ص: ٢٦٤.

[٢] المرجع نفسه، ص: ٢٦٢.

[٣] المرجع نفسه، ص: ٢٦٢- ٢٦٣.

[٤] المرجع نفسه، ص: ٢٦٢- ٢٦٤.

[٥] سعيد حليم باشا (١٩٢١م): هو حفيد محمّد علي باشا ورئيس حركة «إصلاح الدّين» التّركيّة، تولّى منصب وزارة الخارجيّة سنة ١٩١١م ورئاسة الوزراء منذ سنة ١٩١٣م وحتى ١٩١٦م، قُتل في الرّوم. لمزيد من التّفصيل راجع: عبدالله سيد (الدّكتور)، متعلقات خطبات إقبال، ص: ١٠٦.

[٦] فرعون: كان لقب الملوك في عصر الفراعنة، والمراد به هناك الملك الذي يُسمّى برمسيس الثّاني ومعاصر النبيّ موسى- عليه الصّلاة والسّلام- والذي يُوجد جسده في المتحف المصريّ بالقاهرة، وهو المراد في هذه الآية المباركة: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(يونس، ١٠:٩٠).

[٧] اللورد كتشنر (١٩١٦م): ولد سنة ١٨٥٠م، عُيّن «فيلد مارشل» من قبل الإنجليز، وغرق في البحر.

[٨] نيتشه (١٩٠٠م): هو فريدرک ويلهلم نيتشه الفلسفي الألماني الشّهير الذي وُلد سنة ١٨٤٤. للتّفصيل راجع: عبدالله سيد (الدّكتور)، متعلقات خطبات إقبال، ص: ١٤٠- ١٤١.

[٩] المصريّ، حسين مجيب (الدكتور)، في السماء، ص: ١٣- ١٤.

[١٠] البقرة، ٨٣/٢.

[١١] المصري، حسين مجيب (الدكتور)، في السماء، ص: ١٤- ١٥.

[١٢] جشتي، يوسف سليم (البروفيسر)، شرح جاويد نامه، لاهور: آرت بريس، ١٩٥٦م، ط: الأولى، ص: ٢٢.

[١٣] إقبال،جاويدنامه،لاهور: غلام علي ببلشرز، ط: السّادسة، ١٩٧٤م، ص: ١٨.

[١٤] إقبال، رسالة الخلود، ترجمة وشرح وتعليق الدّكتور محمّد السّعيد جمال الدّين، ص: ٧٣.

[١٥] زنده رود: لقّب الرومي إقبالا بـ «زندهرود» على فلک العطارد، ومعنى زنده رود: النّهر الحيّ، يقال: إنّ نهرًا بعينه بهذا الاسم يوجد في بلدة أصفهان بإيران، والميزة التي تميّزها عن الأنهار الأخرى هي أنّه لا يحصل ماؤه إلا من عيونه الذّاتيّة ولا يصل إلى بحر، بل ينقسم إلى قنوات صغيرة ويسقي الأرض وينتهي، استعار إقبال هذا اللّقب لنفسه متأثّرًا بهذه الميزة. بينما قال الآخرون: إن ّهذا الرّأي لا يمتّ إلى الموضوع بصلة. للتّفصيل راجع: محمّد رياض (الدّكتور)، جاويد نامه تحقيق وتوضيح، لاهور.

[١٦] زروان: ملک السّماء والأرض بناء على روايات ديانة «زرتشت»، وله وجهان: أحدهما المظلم والثاني المضيء وهو يهتمّ بأمور الزمان والمكان.

[١٧] هذه إشارة إلى الحديث القدسيّ المبارک: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملک مقرّب ولا نبيّ مرسل.(السّيوطيّ، شرح سنن ابن ماجه، ١: ٣١٣، الرقم: ٤٢٣٩.)

[١٨] جهان دوست: المراد به «وشوامتر» الذي كان صديق الملک «رام تشندر» وأستاذه، وكان نابغة عصره.

[١٩] الغوريّ، عبد الماجد (سيّد) ، ديوان محمّد إقبال، ج: ١، ص: ١٣٥.

[٢٠] طواسين: جمع طس من حروف القرآن المقطعة التي لا يعلم كنهها إلا الله، وأراد بها إقبال هناک الأسرار والرموز.

[٢١] غوتم بده: اسمه سدهارتا، وعصره أيضاً مختلف فيه، يقال: إنه كان سبع مائة أو ستمائة سنة قبل المسيح، كان أيضا نبيًّا، ويقال: إنه «ذوالكفل» الذي ذكره القرآن في هذه الآية المباركة: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنبياء،

٨٥/٢١). يوجد أتباعه في مناطق بلخ، وكشمير وبهار، وهند، ويابان وغيرها.

٢٢ زن رقاصه «المرأة الراقصة»: وهي تلك المرأة التي سعت إلى إغراء غوتم بده بجسدها ولكنّها فشلت، وأخيراً تابت على يده.

٢٣ أهرمن: نائب إبليس في ديانة «زرتشت».

٢٤ طالسطائي (م: ١٩١٠م): هو Leo Nikolyenich Tolstoy، الفلسفي الرّوسي ّوالرّوائي الشّهير.

٢٥ إقبال: جاويد نامه، ص: ٥٥– ٥٦.

٢٦ مجلة إقباليات، مقال الحافظ عبد القدير: العروج السّماوي بين إقبال والمعرّيّ، لاهور: أكادمية إقبال باكستان، العدد: ٤، ٢٠٠٣م، ص: ١٥٧.

٢٧ الغوريّ، عبد الماجد (سيّد)، ديوان محمّد إقبال، ج: ١، ص: ١٣٦.

٢٨ إقبال،جاويد نامه،ص: ٦٤.

٢٩ يشير إقبال إلى كارل ماركس الذي ولد سنة ١٨١٨م في ألمانيا، وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة، وكان متأثّراً جدًّا بـ«هيكل»، وهو الذي أحيى الاشتراكيّة من جديد على الأسس العلميّة في القرن التّاسع عشر، ونظريّته الاشتراكيّة مبنيّة على المساواة. لمزيد من التّفصيل راجع: صديقي، ظهير أحمد، عكس جاويد منظوم ترجمه مع مقدمه وحواشي، ص: ٢٣٣.

٣٠ إقبال، جاويد نامه، ص: ٦٥.

٣١ مصطفى كمال باشا (م١٩٣٨م): وُلد سنة ١٨٨١م، وعمل بالجيش سنة ١٩٠٥م، وعندما صحبت تركيا ألمانيا ضدّ الإنجليز في الحرب العالميّة الأولى، قاتل قتالاً شديدًا تحت قيادة الملك أنور باشا، ولكنّها انهزمت، فقسمتها الجيوش الاتحاديّة فيما بينها إلا أنّ مصطفى فاز في تحرير مناطقه من أيدي الإنجيلز، فأعلن بحكومته كما أنّه جعل التّركيا الجديدة علمانيّة، وغيّر الخط العربيّ بالخطّ اللاطينيّ.

٣٢ مجلة إقباليات، مقال الحافظ عبد القدير: العروج السّماويّ بين إقبال والمعرّيّ، ص:

.١٥٩

[٣٣] المهدي السّودانيّ: هو محمّد أحمد بن عبدالله، وُلد سنة ١٨٤٣م، كان رجلاً مجاهداً، رفع علم الجهاد في مصر وسودان، ونفّذ الشّريعة الإسلاميّة في الخرطوم ونواحيها. وفي سنة ١٩٩٨م، عندما فتح اللورد كتشنر الخرطوم، أوّل عمل قام به هو أنّه حفر قبره وأخرج جسده منه وأغرقه في النّهر.

[٣٤] راجع للمتن الفارسيّ: إقبال، جاويد نامه،ص: ٩٧-٩٨.

[٣٥] الحكيم المريخيّ: شخصيّة حكيمة اخترعها ذهن الشّاعر.

[٣٦] إقبال، جاويد نامه، ص: ١٠٧.

[٣٧] إقبال، كليات إقبال اردو، (ضرب كليم) لاهور، شيخ غلام علي ايند سنز، ص: ١٤٦.

[٣٨] غالب (١٧٩٧م – ١٨٦٩م): اسمه ميرزا أسد الله خان غالب، وهو من أشهر شعراء اللّغة الأرديّة، ونظم شعرًا في الفارسيّة كذلك.

[٣٩] إقبال، جاويد نامه، ص: ١٢٤.

[٤٠] المرجع نفسه، ص: ١٢٦.

[٤١] جعفر (م١٧٦٥م): المخادع الشّهير الذي بسبب خداعه هزم اللورد كلايف (Clive) «سراج الدّولة» والي الميسور في الحرب بلاسي (Plassey) سنة ١٧٥٧م. لمزيد من التّفصيل راجع: محمد رياض، جاويد نامه تحقيق وتوضيح، ص: ٦٥.

[٤٢] صادق: الغادر الشّهير، كان رئيس جيوش الملك «تيبو» بالهند، وبسبب غدره قتل المذكور سنة ١٨٩٩م. لمزيد من التفصيل راجع: جاويد نامه تحقيق وتوضيح، ص: ٤٥.

[٤٣] السيّد علي الهمدانيّ (٧٨٤هـ/ ١٣٨٥م): هذا الدّاعية العظيم، يلقّب بلقب «علي الثّاني وحواري كشمير» أيضًا، وُلد سنة ١٣١٤م/٧١٤هـ في همدان، وحصل على العلوم الباطنيّة من خاله ثم ساح في البلاد الإسلاميّة، وفي سنة ٧٧٤هـ جاء إلى

كشمير مع أصحابه لتبليغ الإسلام، وفي سنة ٧٨٤ هـ/ ١٣٨٥م قصد الذّهاب إلى «تركمانستان» ولكنّه مات في الطّريق. لمزيد من التّفصيل راجع: صديقي، ظهير أحمد، عكس جاويد، ص: ٢٥٨.

٤٤ ملا طاهر غني الكاشميري (١٠٧٢هـ / ١٦٦١م): شاعر عصر السلطان «شاه جهان» ومعاصر «كليم» و«صائب».

٤٥ برتري هري: شاعر اللّغة السنسكريتيّة العظيم والمتمهر في الفلسفة والموسيقى والتّصوير، وعصره القرن الأوّل قب لالمسيح تقريبًا، كان ملک أجين، فالبيت الشّهير للشّاعر إقبال:

پھول کی پتی سے کٹ سکتا ہے ہیرے کا جگر
مرد ناداں پر کلام نرم ونازک بے اثر

«من الممكن ثقب الماسة بزهرة ناعمة، ولكن ليس من الممكن أن تؤثّر الكلمة اللّيّنة في قلب غبي أحمق» هوترجمة قطعته الشّعريّة. لمزيد من التّفصيل راجع: مجلة أردو، ١٩٧٧م، العدد: ٤، مقال رضوي، سيّد صمد حسين: «إقبال اور برتر يهري» أي إقبال وبرتري هري.

٤٦ الغوري، عبد الماجد (سيّد)، ديوان محمّد إقبال، ج: ١، ص: ١٣٧– ١٣٨.

٤٧ شرف النساء بيغم، كان والدها زكريا خان وجدها حاكمي بنجاب، كانت تحمل المصحف والسّيف معها دائماً وأوصت بدفنهما معها بعد وفاتها، فدُفنا بها.

٤٨ نادرشاه (م١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م): أحد الملوک الإيرانين الذي نهب مدينة دلهي في ١١٥١هـ / ١٧٣٨م، كما أنّه سعى للتّوحيد بين الرّوافض وأهل السّنّة. لمزيد من التّفصيل راجع: دائرة المعارف الإسلاميّة الأرديّة، لاهور:جامعة بنجاب، ج: ٢٢، ص: ١٥– ٢٦.

٤٩ أحمد شاه الأبداليّ (م ١٧٧٣م): مؤسّس أفغانستان، كان في جيش «نادر شاه»، وبعد موته جلس على العرش «أحمد شاه الأبدالي»، وكان عمره آنذاک ٢٤– ٢٥ سنة، ففصل أفغانستان من المناطق الأخرى وأعلن بتحرّرها. وفي سنة ١٧٦١م اقتلع

الأبدالي في معركة باني بت «المرهتة» الذين كانوا رمزًا لقوّة الهنود المتزايدة يومًا بعد يوم، دُفن بمدينة قندهار. لمزيد من التّفصيل راجع: محمّد حيات الله خان، جهات أفغاني، لاهور، ١٨٦٥م.

٥٠ السّلطان تيبو (م١٧٩٩م): ملک ميسور، وُلد سنة ١٧٥٠م، كان متمهّرًا في فنون الحرب، وبذل قصارى جهده لتحرير شبه القارّة من أيدي الإنجليز، قتل بسبب غدر رئيس جيوشه «مير صادق». للتّفصيل راجع، بنغلوري، محمود شاه، تاريخ سلطنت خداداد، ١٩٣٤م، وأمجد علي، سيد، سوانح حيدر علي سلطان، ١٩٢٠م.

٥١ الغوري، عبد الماجد (سيّد) ديوان محمّد إقبال، ج: ١،ص: ١٣٨.

٥٢ المصريّ، حسين مجيب (الدّكتور)، في السّماء، لاهور: المكتبة العلميّة، ص: ٣.

٥٣ المرجع نفسه، ص: ٣.

٥٤ المرجع نفسه، ص: ٣- ٨.

٥٥ المرجع نفسه، ص: ١٣.

٥٦ قرّةالعين طاهرة: (م١٨٥٢م) اسمها زرين تاج أمّ سلمة، واشتهرت باسم قرّة العين طاهرة، كانت من أتباع الديانة «بابية»، وكانت في حياتها قد فضّلت السّجن والقتل على أن تكون زوجة الملک ناصر الدّين.

٥٧ ناصر خسرو العلويّ (م٣٩٥- ٤٥٢، ٤٥٣هـ): هو من شعراء إيران في القرن الخامس الهجريّ، وكان من دعاة المذهب الإسماعيليّ، وجمهرة أشعاره في المسائل المذهبيّة والفلسفيّة. ولـمّا قدم مصر، وكل إليه الخليفة الفاطميّ نشر المذهب الإسماعيليّ في خراسان وجعله رأس الباطنيّة في تلك الجهات. راجع: دائرة المعارف الإسلامية الأردويّة، ج: ٢٢، ص: ٤٦.

٥٨ جمال الدّين الأفغانيّ (م١٢٥٤-١٣١٥هـ= ١٨٣٨- ١٨٩٧م): فيلسوف الإسلام في عصره، نشأ في كابل، جال في الشّرق والغرب، دعا إلى الوحدة الإسلاميّة، له مؤلّفات معروفة، منها: «إبطال مذهب الدّهريّين» أصدر هو ومحمّد عبده مجلة «العروة

الوثقى» في باريس عام ١٨٨٤م، تُوُفِّيَ عام ١٨٩٧م. لمزيد من التّفصيل راجع: الزّركليّ، الأعلام، ج: ٦، ص: ١٦٧- ١٦٩.

[٥٩] عطاء الله، شيخ، إقبال نامه، ج: ١، ص: ٢٠٠، ٢٠١.

[٦٠] أفضل، محمّد رفيق، كفتار إقبال، أي كلام إقبال، ص: ٢٤٣، ٢٤٤.

[٦١] آزاد،جكن ناته، إقبال والمفكّرون الغرب، لاهور: مكتبة عالية، ص: ١٢٨.

[٦٢] أنظر للمزيد من التّفصيل إقبال، جاويد نامه، ترجمتها الأردويّة المنظومة، رفيق خاور، لاهور: إقبال أكاديمي باكستان، ط: الأولى، ١٩٧٦م، ص: ف.

[٦٣] مجلة إقباليات، مقال محمّد شفيع بلوش: الفتوحات المكيّة، الكوميديّة الإلهيّة، ورسالة الخلود، عدد ٤٧:٢، يوليو، ٢٠٠٦م، ص: ٤٤.

[٦٤] المرجع نفسه، ص: ٤٥.